الأهرام

المصدر : الاهـــرام

التاريخ : ٨ يونيو ٢٠٠٠

. ماذا بعد الانسحاب... وكيف يتم الاحتفاظ بالنصر

الذى حدث في لبنان وأدى إلى إجبار إسرائيل على الانسحاب «قسرا» وفي شكل هرولة مذلة للجيش الإسرائيلى تحت وطأة الإحساس بعدم القدرة على احتمال ضربات المقاومة اللبنانية، لايمكن وصفه بأقل من كونه «انتصار اعربيا تاريخيا ومجيدا».. ولكن الأهم والأصعب في المرحلة المقبلة هو كيفية المحافظة على هذا الانتصار وحسن توظيفه واستثماره في خدمة الأهداف والقضايا العربية.. وهنا تأتي ضرورة الاحتكام للعقل في كل خطوة، وفي كل قرار يصدر عن لبنان «الدولة» ولبنان «المقاومة» ولبنان «الشريك» لسوريا، لأن الهزيمة لم تلحق بإسرائيل وحدها، وانما أصابت آخرين داخل وخارج المنطقة بنوع من الصدمة التي قد تدفع إلى «التربص» ومحاولة سحب سجادة النصر الذى تحقق!

أريد أن اقول بداية إن خروج إسرائيل من المعادلة اللبنانية يمثل صدمة بالغة تصل إلى حد إرباك حسابات العديد من القوى الإقليمية والدولية، التي كانت تبنى خطوط استراتيجيتها في الشرق الأوسط على أساس أن إسرائيل قد اصبحت رقما أساسيا ومؤثرا في المعادلة اللبنانية.

وذلك امر سوف يكون صعبا على بعض القوى أن تبتلعه بسهولة وأن تدعه يمر دون حساب إن لم يكن سوف يقودها الغضب إلى محاولة تحين الفرصة الملائمة والرد بالعقاب.

لعلى اكون اكثر وضوحا واقول انه مع التسليم بان إسرائيل هى الخاسر الرئيسى بانسحابها المذل والمهين، إلا انه هناك خاسرون آخرون خصوصا أولئك الذين اعتادوا ان يتعاملوا مع الشان اللبنانى على أساس انه «ساحة مفتوحة لتصفية الحسابات السياسية بين القوى الإقليمية والدولية».. وذلك القول ليس استنتاجا ولا تحليلا من عندى، وانما هو مقولة شهيرة ومأثورة لهنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى الأسبق.

ومعنى ذلك ان أصابع كثيرة سوف تحاول العبث فى الساحة اللبنانية بهدف استعادة ما ضاع نتيجة الانسحاب الإسرائيلى.. الأمر الذى يفرض على لبنان مسئولية مضاعفة فى المرحلة المقبلة لإفشال أى محاولات من هذا النوع باسم أى نعرات أو قضايا.

ولست أريد أن أعدد بعض الثغرات التى سيحاول الكارهون لانتصار لبنان أن ينفذوا منها، ولكننى فقط سوف أشير إلى بعض رءوس الموضوعات التى بدات تثير جدلا فى الساحة اللبنانية - قبل الأوان - واعنى بها تحديدا ما يلى:

1. إثارة لغط «مبكر» حول ضرورة انتهاء «الشرعية الثورية» لحزب الله، بدعوى أن مبررات المقاومة المسلحة قد انتفت بانسحاب إسرائيل، وأن أى دور لحزب الله مستقبلا ينبغى أن يظل محكوما بعباءة «الشرعية الدستورية» التى تحكم عمل بقية الأحزاب الأخرى فى الساحة اللبنانية طبقا لاتفاق الطائف.

2. إثارة حملة «مبكرة» حول الوجود السورى في لبنان، والقول بانتفاء الحاجة له بعد انسحاب إسرائيل واستعادة الدولة اللبنانية لعافيتها التى تمكنها من بسط سلطتها وسيطرتها الكاملة على الوطن اللبنانى باسره.

وهنا يتحتم التاكيد والقول بوضوح ان أحدا لايملك حق مصادرة حق أى فصيل لبنانى فى فتح باب الحوار حول هاتين القضيتين، لأن ذلك يمثل أحدى علامات الصحة والعافية فى الجسد اللبنانى والغطاء الديمقراطى.. ولكن التحفظ الوحيد يكمن فى استعجال إثارة هاتين القضيتين بينما لاتزال ضمانات السلام وحسن الجوار مع إسرائيل غائبة نتيجة غيبة السلام الشامل ككل، والسلام الإسرائيلى - اللبنانى بشكل خاص !.

بل إن هناك من يعتقدون - ولهم الحق فى ذلك - بان لبنان بعد سنوات الحرب الأهلية «المهلكة» وسنوات الاحتلال «الصعبة» لديه أولويات تسبق الإلحاح على هاتين القضيتين، فضلا عن أن ضرورات عدم تفكيك بنيان المقاومة مازالت أقوى من مبررات تفكيكها، كما أن ضمان الاستقلال للبنان يكون باستمرار التنسيق والتكامل مع سوريا وليس بالانشقاق عنها والتنكر - دون مقتضى - لمبدأ وحدة وتلازم المسارين السورى واللبنانى، خصوصا أن سوريا - وباعتراف اللبنانيين انفسهم - لعبت دورا أساسيا فى دعم وحماية دور المقاومة اللبنانية حتى تمكنت من تحقيق انتصارها التاريخى.

وربما يكون ضروريا ومفيدا - فى هذا الموقف - أن نلخص مجمل ما حدث ودلالاته السياسية والنفسية فى شكل نقاط محددة على النحو التالى:

1. أن ماحدث يمثل انتصارا سياسيا ونفسيا قبل أن يكون انتصارا عسكريا، فضلا عن أن ملابسات الهرولة التى أخرجت عملية الانسحاب بهذا الشكل المهين لإسرائيل، جاءت خارج حسابات ونبوءات وتوقعات جميع المحللين والمراقبين المعنيين بتطورات المواجهة فى المسرح اللبنانى على مدى ٢٢ عاما متصلة.

2. أن ملابسات الانسحاب المفاجىء وقبل الموعد المعلن عنه ودون التشاور مع عملاء إسرائيل من جيش جنوب لبنان بقيادة انطوان لحد، يؤكد وجود نيات إسرائيلية خبيثة ومريبة لإيجاد حالة من الفراغ الأمنى والسياسى فى الشريط الحدودى قبل تاهل قوات الأمم المتحدة لتولى مسئولياتها على أمل أن يؤدى هذا الفراغ إلى مذابح أهلية بين مقاتلى حزب الله وفصائل جيش أنطوان لحد والسكان الموالين لهم بوازع الرغبة فى الانتقام، ولكن الانهيار المفاجىء وغير المتوقع لقوات لحد وهرولتهم مع القوات الإسرائيلية المنسحبة إلى داخل إسرائيل، وكذلك ذكاء وحكمة التعامل اللبنانى مع الحدث، أدى إلى إفشال مخطط الفتنة الذى راهنت عليه إسرائيل.

3. ان قيام عدد كبير من ضباط وجنود جيش جنوب لبنان بتسليم أنفسهم لقوات حزب الله، التى بادرت بتسليمهم إلى السلطة الشرعية، تمهيدا للتحقيق معهم ومحاكمتهم طبقا لما ينص

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

مرسى عطا الله

عليه القانون اللبناني، قد كسر من حدة أزمة كان الإسرائيليون يراهنون على اشتعالها، ومن ثم ينبغي على الجميع في لبنان ادراك أن تجاوز أي توابع لهذه الأزمة مستقبلا وإبطال احتمالاتها المتفجرة، يظل رهنا بقدرة استمرار الالتزام الصارم بما أعلنه الرئيس إميل لحود حول «حتمية الاحتكام للقانون بعدل وشفافية وبعيدا عن روح الانتقام».

٤ إن إخراج مجلس الأمن في تقريره الأخير لمناطق مزارع شبعا من نطاق قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ الذي سيجرى على أساسه ترسيم الحدود اللبنانية - الإسرائيلية تحت اشراف الأمم المتحدة، يعني أن هناك اختبارا صعبا في الأيام المقبلة لكل من سوريا ولبنان، وأن هذا الاختبار لا يتعلق فقط بالتفاهم حول مستقبل هذه المناطق في حالة التوصل إلى اتفاق سلام بين سوريا وإسرائيل.. وانما في القدرة المشتركة على ضبط النفس، وعدم توفير أي ذرائع لإسرائيل لكي تغسل جزءا من عار هزيمتها المذلة.

٥ إن كل ما يصدر الآن في إسرائيل من تصريحات مجمومة وتهديدات مجنونة تجاه سوريا ولبنان معا، يؤكد أن ما حدث هو انتصار سياسي وعسكري للمقاومة وهزيمة سياسية وعسكرية لإسرائيل، التي لم تستطع أن تقنع أحدا بمبررات اضطرارها للتخلي لأول مرة عن التصرف بمنطق الطرف الأقوى القادر على إملاء شروطه.. وأصبحت النكتة المتداولة في المحافل الدولية الآن أن إسرائيل تحولت - فجأة - إلى دولة تحترم الشرعية الدولية مع المقاومة اللبنانية فقط!

٦ إن المسئولية تحتم - رغم ذلك - عدم «التهوين» من لغة التهديد التي تحكم الخطاب العام في إسرائيل بعد الانسحاب، وفي نفس الوقت، فإنه ينبغي أيضا عدم «التهويل» في جدية هذه التهديدات، خصوصا أن إسرائيل جربت هذه اللغة ونفذتها عشرات المرات في شكل عمليات انتقامية ضد لبنان على مدى ٢٢ عاما، ولم تجن من وراء ذلك سوى الفشل الذي أدى إلى حتمية الانسحاب.

٧ أن القيمة الحقيقية لما جرى - وبصرف النظر عما في النفوس والصدور وما يختبئ من نيات ومقاصد وأهداف - أنه يمثل اعترافا إسرائيليا صريحا بالقرار رقم ٤٢٥ الذي يمثل أحد مرجعيات الشرعية الدولية، في إطار الصراع العربي - الإسرائيلي، وان هذا هو الاعتراف الأول من جانب إسرائيل بأحد مقررات الشرعية الدولية منذ قيامها بموجب الشرعية الدولية، استنادا لقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية في نوفمبر عام ١٩٤٧.. وان ذلك ينبغي أن يكون مدخلا صحيحا لتقوية موقف المفاوضين العرب على سائر المسارات الأخرى.

٨ أن تلخيص ماجرى - بعيدا عن حسابات القوة ومفرداتها - يثبت أن بإمكان أي حركة مقاومة وطنية مشروعة ترتكز إلى بناء تنظيمي سليم ورؤية سياسية واضحة أن تجعل «الواقع» أعظم من «الحلم» وأن تبرهن على أن «قوة الحق» يمكن أن تنتصر على «قوة الردع».

٩ انه ينبغي أن يترسخ الاعتقاد عند الجميع - وبالذات داخل لبنان - في أن قوة أي وطن تكمن في وحدته الوطنية وصلابة جبهته الداخلية، وان ضمان الاستقلال والسيادة رهن بالقدرة الذاتية للوطن وليس رهنا بأية ضمانات خارجية من نوع ما كان يروج له البعض داخل لبنان قبل الاحتلال الإسرائيلي بأن أوروبا والغرب بشكل عام يعتبران الأرض اللبنانية أرضا مقدسة لايمكن السماح لأحد بالاعتداء عليها أو اختراق حرمتها.

١٠ ان حماية هذا الانتصار والعمل على توظيف واستثمار مردوداته الإيجابية في خدمة الموقف العربي ككل، يحتاج إلى مزيد من الحكمة ومزيد من الاعتدال ومزيد من المرونة، تحت مظلة من حسن القراءة وحسن الفهم للموازين والأجواء الإقليمية والعالمية في المنظور القريب على الأقل.

وإذن ماذا؟

نعم.. ماذا بعد نجاح المقاومة اللبنانية الجسورة في إجبار إسرائيل على الانسحاب وانهاء احتلالها الكريه لجنوب لبنان.. وكيف يمكن للبنان أن يحتفظ بهذا الانتصار؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

والجواب - فى حدود اجتهادى - يبدأ من مدى قدرة اللبنانيين على تعزيز الاستقرار الداخلى وترسيخ ركائز الوحدة الوطنية وتكاتف جميع القوى والفصائل اللبنانية من أجل احباط أى محاولات خبيثة - ولو بحسن النيات - لإثارة الفتنة.

والجواب أيضا - فى حدود اجتهادى - يرتبط بمدى توفير الغطاء العربى الداعم للبنان، لتثبيت ركائز الاستقرار على مختلف ربوعه، خصوصا أن الانتخابات النيابية أصبحت على الابواب، حيث من المقرر اجراؤها فى شهر أغسطس المقبل.

وما دمنا نتحدث عن غطاء الدعم العربى الواجب توفيره للبنان فى هذه المرحلة، فإن من الضرورى أن نتكلم صراحة عن قضيتين أساسيتين، ينبغى أن يتحمل العرب مسئوليتهم الكاملة فيهما، وأعنى بهما قضية إعمار مدن وقرى الجنوب، وتاهيل هذه المنطقة لاستعادة عافيتها التنموية والعمرانية من جديد، وازالة كل آثار الاحتلال، ثم قضية المخيمات الفلسطينية وضرورة بذل جهد عربى للمواءمة بين توفير حق السيادة الكاملة للسلطة اللبنانية، وبين متطلبات الظروف الخاصة لاوضاع هؤلاء اللاجئين الذين لم تحسم قضيتهم بعد.

واظن انه من الافضل أن يؤجل - مؤقتا - اثارة أى جدل فى الصف اللبنانى حول ثلاث قضايا أساسية مرتبطة بعضها البعض، لأنها مرتبطة أساسا بمستقبل عملية السلام فى المنطقة بأكملها.. وهى الوجود العسكرى السورى فى لبنان، ومستقبل العلاقة مع سوريا.. ومستقبل حزب الله.. ومصير المخيمات الفلسطينية.

والقضايا الثلاث تتمحور حول بُعد عسكرى وأمنى بالغ الحساسية.. وفى غيبة السلام الشامل فى المنطقة يصبح من السابق لأوانه الحديث عن خروج القوات السورية أو نزع سلاح حزب الله، أو تجريد المخيمات الفلسطينية من السلاح..

هكذا يمكن أن نوفر ضمانا - مؤقتا - لحماية هذا الانتصار اللبنانى الكبير..

وليكن الله عونا للبنان من شرور المزايدين الذين بدأوا يطلون برءوسهم من جديد بعد أن خسروا رهانهم الخائب على عدم جدوى المقاومة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية